حرية حركة الفلسطينيين في مدينة القدس
الاء الداية

انا فلسطينية مقدسية، ولدت واسكن في مدينة القدس القديمة، والدي مقدسي ووالدتي من غزى. منذ طفولتي وانا اشهد معيقات وقيود على حرية حركتي، تفرضها علينا سلطة الاحتلال الإسرائيلي عبر قوانينها وجيشها وشرطتها. ولكون والدتي من غزه، لم تستطع اضافتنا الى هويتها ونحن أطفالا، ولم تستطع استصدار وثائق مقدسية لنا، مما عرضنا لمصاعب اضافية في تحركاتنا اليومية داخل القدس وخارجها.

هذه لمحات من تجربتي الخاصة بحرية الحركة منذ طفولتي اشاركها مع "مجموعة الحركة"

حديث امي على الهاتف العمومي في حارة الشرف، 2001
كان عمري ما يقارب أربع سنوات عندما كنت اذهب مع امي من حارتنا، عقبة الخالدية، الى حارة الشرف والتي اسماها الاحتلال بعد اقتلاع أهلها الفلسطينيين منها حارة " اليهود"، حيث استوطن هذا الحي اعداد كبيرة من المستوطنين اليهود. كانت امي تذهب الى حارة الشرف باستمرار لكي تستخدم الهاتف العمومي المثبت على الجدار من اجل التحدث مع أهلها في غزه لعدم قدرتها على الوصول لهم وعدم قدرتهم الوصول لها. لم أكن اعي لماذا لا تستطيع امي الوصول لغزة التي تبعد بضعة اميال عنا ولماذا لا يستطيع أهلها زيارتنا.
اثناء وقوف امي وتحدثها بالهاتف كان المستوطنون الذين يمرون بجانبها يبصقون عليها ويسبوها بألفاظ بذيئة. كانت امي باردة الاعصاب، لا تظهر غضبها ولا ترد عليهم، تكمل حديثها على الهاتف. لا أدرى ان كان موقفها خوفا من المواجهة لأنها تحمل هوية "غزية" وليس معها أوراق "قانونية" ومعرضة للإبعاد من القدس، ام ماذا؟ لم اقبل بإهانة امي او اهانتي فكنت انا أرد على اهانات اليهود. ابصق على من يبصق علينا واركض لأختبئ في ثوب امي. كنت اصعد درجات مجاورة لأصبح بمستوى الكبار واشدهم من سوالفهم ان كانوا رجالا او اركلهم برجلي واذهب مسرعة للاختباء.

حادثة الجبل 2002
كنت في الخامسة من عمري عندما مررت بتجربة انغرست في ذاكرتي وتركت جروحا جسدية ونفسية. بعد الحاحي الشديد، وافقت امي ان تصحبني معها الى بلدة العيزرية. في الطريق كنت انظر من شباك الباص بفرحة عارمة وعندما كنت مسترسلة في حركة المشاهد من امامي توقف الباص فجأة وأعلن السائق بان كل من يحمل هوية "ضفة" يجب ان ينزل فورا من الباص، بسبب وجود حاجز عسكري اسرائيلي للتفتيش، توقفت الحركة عند منطقة جبلية مليئة بالأتربة. نزلنا انا وامي من الباص، فهي تحمل هوية غزه وهذه أكثر تعقيدا من هوية الضفة. نزل معنا مجموعة من الركاب، معظمهم طلاب جامعة. الطريق الوحيد امامنا كان طريقا منحدرا ووعرا. بينما أسرع الشباب في المشي نزولا تجاه الطريق المنحدر، امي، ابنة الساحل الفلسطيني وانا الطفلة الصغيرة لم نعرف كيف سنجتاز هذا الطريق. حاولنا المشي لكن شعرت ان الانحدار يتفوق على خطواتي، فأسرعت خطواتي بدون جدوى. طلبت مني امي ان اجلس وانزل ما تبقى من الطريق وانا جالسة وكأنني اتزحلق على زحلوقة أطفال مع الفارق ان الأرض خشنة، مؤلمة ومزقت بنطلوني. بعد ان وصلنا الى قعر المنحدر أصبحت الطريق مستوية، مشينا بضع خطوات وإذا بنا نأتي وجها لوجه مع جبل شاهق، شعرت انه يجثم على قلبي. كان واضحا بانه لم يكن لدينا أي خيار غير تسلق هذا الجبل الضخم الوعر لان كل الطرق من حولنا كانت مغلقة. بدانا بصعود الجبل وفي منتصف الطريق رأينا مغارة فبكل برودة أعصاب قالت لي امي ربما هي مسكن لحيوان مفترس. استمرينا بالصعود وأصبحت الطريق أصعب حيث ان الحجارة كانت تتدحرج من تحت اقدامنا وتهوي فنسمع صوت تدحرجها وتكسرها. خفنا ان يكون مصيرنا مثل مصير الصخور والحجارة هذه، فأخذنا نمسك بالأعشاب الجافة والشوك لكيلا نفقد التوازن. كنا نفضل ان نمسك الشوك ويجرحنا على التعثر والموت. عندما اقتربنا من القمة بدأت الطريق تضيق وتزداد صعوبة، فخلعت امي حذائها ومشت امامي حافية، فحملت حذائي في يد وباليد الأخرى امسكت بالشوك ومشيت ورائها. حين وصلنا قمة الجبل، كان هناك اسلاك شائكة بينا وبين الشارع، اجتزنا الاسلاك ومشينا الى ان التقينا بعض البدو الذين أرشدونا الى طريق العيزرية. هناك ذهبنا الى البنك واثناء انتظارنا اخذنا انا وامي ننظف يدينا من الشوك ونحن جالسات في مكان فيه هواء بارد. عندما انتهت امي من معاملاتها في البنك، عدنا الى القدس. هذه المرة وكما في كل مرة نغادر القدس كانت امي تتسلق الجدار وتقفز من فوقه، اما انا فكان بجسدي الصغير النحيل يمكنني من العبور عبر فتحة صغيرة في الجدار. هكذا كان الحال في كل زيارة لنا الى الضفة الغربية، لم تكن الحواجز كالحواجز الموجودة حاليا، بل كانت متنقلة وفجائية.

بعد تلك التجربة في الجبال الوعرة أصبحنا انا وامي نعاني من كوابيس متشابهة، نستيقظ مذعورات، حين نحلم اننا وقعنا من الجبل. بقيت هذه الاحلام ترافقنا لوقت طويل وليس غريب انها متشابهة فهي تعيد حادثة الجبل التي شكلت لنا كابوساً حقيقياً.
عام 2002 بدأ الاحتلال ببناء جدار الفصل والضم العنصري، الذي حرمنا انا ووالدتي من التنقل. على مدى سنوات استمرت امي في الذهاب الى مؤسسات حقوق الانسان ومحاميين، الى ان استصدرت لي هوية مقدسية وهي أصبح بحوزتها تصريح يسمح لها عبور بعض الحواجز العسكرية.

تثبيت الأبواب الالكترونية، وكأننا في لعبة حركة-صنم 2017
يوم 14 تموز 2017 اغلق الاحتلال المسجد الأقصى عقب مقاومة واستشهاد ثلاثة شبان فلسطينيين من ام الفحم واطلاقهم النار على اثنين من الشرطة الإسرائيلية، بعدها بيومين تم تثبيت بوابات إلكترونية في شوارعنا، يبتعد الباب الاول عن الثاني بضع خطوات. عندما كنا ننحرف عن البوابة ونعبر الشارع، يطلب منا الجنود الرجوع ومعاودة الدخول عبر الباب الالكتروني، اما المستوطنين المسلحين فكانوا يمشون بدون ان يوقفهم أحد. كانت البوابات تشعرني بالإهانة وكأني لعبة يتم التحكم بها عبر "جهاز التحكم الالي"، ارجع بضع خطوات او حتى اتوقف تماما وفق اوامرهم. كما كانت القوات الخاصة تقتحم بيوتنا فجأة بدون سابق انذار. كنا نتجمد في مكاننا بسبب صراخهم واشهارهم الاسلحة بوجوهنا. حتى امي لم تكن تجرؤ على تغيير ملابسها مع انها ملتزمة دينياً. كانت أي حركة من قبلنا تشعرنا بان نهايتنا باتت وشيكة. تميزت هذه الفترة بهوس المنظومة الأمنية الإسرائيلية تجاه اية حركة نقوم بها، حتى لو كانت وضع الايدي في الجيوب. استطاع الفلسطينيين من خلال المقاومة والاعتصامات اليومية والصلاة امام أبواب الأقصى التي أغلقت لمدة 14يوم وبعد استشهاد ثمانية فلسطينيين واعتقال أكثر من 500 فلسطيني، أجبرت قوات الاحتلال على اعادة فتح أبواب الأقصى وإزالة جميع البوابات الالكترونية التي ثبتت على أبوابه وفي شوارعنا التي تحيط به. امتازت مقاومة البوابات الالكترونية التي جمعتنا في شوارع القدس بروح الوحدة والتضامن.

داخل او خارج اسوار القدس القديمة
حين يخرج المستوطنين في مسيراتهم الاحتفالية في القدس القديمة، يستنفر الجيش الإسرائيلي والشرطة، فيضعوا الحواجز الحديدية ويغلقون شوارع ومحلات المقدسيين التجارية، لكي يعبر المستوطنين من شوارعنا وهم يهتفون هتافات معادية لنا، مثلا الموت "للعرب" و"إعادة النكبة". حين تبدأ المسيرات الاستفزازية، يمنع المقدسيين المتواجدين خارج اسوار المدينة من العودة لبيوتهم ويضطرون للانتظار لساعات طويلة الى حين انتهاء المسيرة. اما الفلسطينيون داخل المدينة فيمنعون من الخروج من بيوتهم. ونضطر الى إغلاق ابوابنا التي اعتدنا على تركها مفتوحة في الأيام العادية. نكتفي بالنظر من شرفات منازلنا او البعض يقفون امام ابواب بيوتهم متحدّين إجراءات الاحتلال.

عقوبة تحدي الاغلاق
خلال احدى مسيرات المستوطنين، قررت التوجه الى باب العمود قبل بدئ المسيرة والوقوف كغيري من المتظاهرين الفلسطينيين امام مسيرة المستوطنين ورفع علم فلسطين. حاول جندي إسرائيلي منعي من الدخول للبلدة القديمة، لكني أصريت على الوقوف بقوة عند أقرب نقطة لباب العمود، فضربني الجندي وجرني على الأرض بقسوة، وحملني بالقوة هو وثلاث جنود آخرين، فهم مختصين بقمعنا ومعروفين بتعاملهم العنيف معنا في الشوارع. فهم بالمقابل مسخرين لخدمة عنصرية المستوطنين. بعد تلك الحادثة لم اجرؤ على الخروج في اوقات مسيرات الاعلام الصهيونية لفترة طويلة.

الطوق الامني
يفرض الاحتلال ما يسمى "الطوق الأمني" علينا في البلدة القديمة حيث يمنع دخول كل من لم يكن مسجلا في هويته انه من سكان القدس. فإذا ما كنا خارج البلدة لا نستطيع العودة الا بعد الوقوف على حاجز عسكري بانتظار ان يتحقق الجنود من اقامتنا ويسمحوا لنا بالدخول. يمنع الجنود الكثير من الفلسطينيين من الدخول الى القدس، حتى لو كانوا أقارب او أصدقاء لسكانها، وهذا الطوق الأمني كان يفرض أوقات بعض أعياد اليهود التي ينوون خلالها اقتحام الأقصى، وايضاً قاموا بذلك خلال هبة البوابات الالكترونية لكي يقللوا عدد المعتصمين امام البوابات.

توقف الحركة نهائيا

حين وقوع عمل للمقاومة او الشكوك بحصول عمل مقاوم او وجود "جسم مشبوه"، تقوم قوات الاحتلال بوقف الحركة تماما في البلدة القديمة فلا نستطيع الحركة في داخلها او لخارجها. يبقى كل منا في مساحة مغلقة. تُقسم المدينة الى مناطق صغيرة مغلقة حيث يتواجد مجموعة من خمسة افراد من شرطة الاحتلال في كل منطقه محاطون بحواجز حديدية، يفصلون بها الشوارع، بحيث تصبح بمثابة حواجز، بين الحاجز الاول والثاني حوالي ٣٠ مترا.